

مقطعات من أقوال  
العلامة القديس ترنليانوس  
« عن التوبة »

يوسف حبيب

عليه حبيب يوسف

مقنطقات من أقوال  
العلامة القديس ترثليانوس  
« عن التوبة »

ترجم النص اللاتيني الى الفرنسية « بيير دي لا بريول »

Pierre de Labriolle

الاستاذ بجامعة فريبورج بسويسرا

De Praescriptione Hereticorum مترجم عن كتابه

De Penitentia وكتابه

Textes et documents pour l'étude من مجموعة  
historique du Christianisme publiés sous la  
direction de Hippolyte Hemmer et Paul Lejay.

Texte latin, trad, Fse, intr., et index par  
Pierre de Labriolle Professeur à l'Université de  
Fribourg, ( Suisse ) .

Paris 1907

## الإيمان والبحث

يقول: طالما أن المسيح قد جاء بتعليم واحد ثابت، فيمكننا أن نبحث طالما لم نجد هذا التعليم. ولكن متى وجدناه، فليس هناك شيء نبحث عنه. أن البحث في حد ذاته ليس له قيمة. يلزم ضرورة أن ينتهي إلى نهاية. وهذه النهاية هي يسوع المسيح.

وبالنسبة للمسيحي ليس من الإيمان أن يتساءل باستمرار فيما آمن به.

كم يكون الإيمان النقي البسيط أفضل من تلك الأبحاث الباطلة التي لا طائل ورائها سوى الغرور. ما المنفعة من التباحث مع أناس يعترفون بأنهم ما زالوا يبحثون؟ طالما كانوا يبحثون، فهم ليسوا راحلين في شيء. فأية منفعة في التعامل معهم؟

كان قانون الاثني عشر لواحاً، قد قرر أن كل من استعمل أرضاً لمدة سنتين، أو أى شيء آخر لمدة سنة واحدة، يصير مالكا شرعياً له. وكان هذا القانون يخص المواطنين وحدهم. وكان مسموحاً لكل من يمتلك أرضاً بطريقة مشروعة، وتظل في ملكيته لمدة عشر سنوات على الأقل، أن يرفض كل دعوى من المالك القديم.

ونقل ترنليانوس هذا الإجراء إلى الناحية اللاهوتية. أن المرطقة يتخذون لأنفسهم حق المناقشة في الكتب المقدسة فهل من حقهم أن يمسوها؟ أن الكتب المقدسة ملك للكنيسة الجامعة. فقد كلف المسيح الرسل بالبشارة بتعاليمه، وسلم الرسل هذه التعاليم إلى الكنائس الرسولية؛ ومنهم وصلت إلى العالم أجمع. ما مفهوم المرطقة؟ أنها ثمرة تجاسر العقل البشرى، يعتقد أنه يستطيع أن يصل إلى الحق بقوته وحده. لكن المسيحية ليسه موضوع مناقشة طالما وصل الإنسان إليها، وعليه أن يثبت فيها ولا يضعها موضع بحث. فإن الذين يحسون حقاً بإيمانهم لا يشعرون بالحاجة إلى اثباته لأنفسهم.

ولا يجب أن تفعل من وجود المرطقات لأن حدوثها سبق أن أنبأ به؛ كما لا يجب أن تفعل من أن المرطقات تقلب إيمان البعض لأنه ليس من هدف سوى اختبار إيمان الناس.

إن الحى تسبب الألم وتجلب المسوت؛ ونحن لا ندهش لوجودها كما لا ندهش لأنها تقتل الإنسان، فضاؤها ذلك. وبما أن المرطقات هدفها زعزعة الإيمان والقضاء عليه، فيجب علينا بدلاً من أن نخاف من سلطانها، أن نخاف أولاً من وجودها.

كل يعرف أن الحمى ضربة من الضربات ، ونحن نكرمها  
أكثر من أن ندمش منها ، فتحافظ على أنفسنا على قدر  
الامكان فيها .

أما إزاء المرطقات التي تجلب الموت الأبدي ، فالبعض  
يؤثر أن يظل مأخوذاً بفاعليتها بدلا من أن يشلوا هذه الفاعلية  
بالإتماد عنها ، وهو أمر في مقدورهم . وهي تفقد كل تأثيرها  
إذا توقف الناس عن التعجب منها .

والمعجب حقاً ان يكون للشر قوة ذاتية ؛ أما المرطقات  
فليس لها قوة إلا بالنسبة لقليل الإيمان . قوتها في ضعف البعض ،  
ويعتريها الومن أمام الإيمان القوى .

وقد يعثر بعض الناس بسبب مكانة بعض المرطقة . فإن  
كان أسقف أو شماس أو معلم أو شهيد أيضاً يعتمد عن الأساس ،  
فهل معنى ذلك أن المرطقة أصبحت حقيقة ؟ أتحمك على الإيمان  
بحسب الأشخاص أم تحمك على الأشخاص بحسب الإيمان ؟

وقال الرب لصموئيل لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأنى  
قد رفضته . لأنه ليس كما ينظر الإنسان . لأن الإنسان ينظر إلى  
العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب ، ص ١٦ : ٧ .

• يعلم الرب الذين هم له . وليتجنب الإنم كل من يسمى اسم  
المسيح ، ص ٢ : ١٩١٢ .

• كل غرس لم يفرسه أبى السامارى يقطع ، مت ١٥ : ١٣ .  
• ولكن كثيرين أولون يكونون آخرين والآخرين أولين  
ص ١٠ : ٣١ .

• الذى رفضه في يده وسينقى بيده ويجمع قمحاً إلى المخزن .  
أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ ، مت ٣ : ١٢ .

• انظروا أن لا يكون أحد يسيكم بالفلسفة ويفرور باطل  
حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح ،  
كو ٢ : ٨ .

علينا أن نبحث إلى أن نجد ، ونؤمن حالما نجد . ولا أكثر  
من ذلك سوى أن نحافظ على ما آمننا به . ونضيف إلى ذلك أيضاً  
انه لا يجب أن نؤمن بشئ آخر وبالتالي لا نبحث عن شئ آخر .  
وللاحظ ثلاث نقط : الموضوع ، الزمن ، والمقياس .  
فما يختص بالموضوع يجب أن نرى ما يجب أن نبحث عنه .  
الزمن ، في أى وقت ؛ والمقياس ، في أية حدود .

فاذا كنا نبحث لكي نجد ، وإذا كنا نجد لكي نؤمن ،  
فبإيماننا نضع نهاية لكل بحث .

## التوبة مصدرها الله

هناك نوع من الناس ، وقد كنا من ضمنهم فيما مضى ، عيان بحرومون من نور الرب ، لا يرون في التوبة سوى شعور روحاني مؤلم يتولد من الندم على قرار سابق .

انهم يبيدون عن أن تكون لديهم فكرة معقولة عن التوبة بقدر ما هم يبيدون عن مصدر العقل ذاته . فالعقل من الله ، وليس هناك من شيء إلا وكان بترتيب سابق من الله عائق كل الأشياء ، جعلها مرتبة بطريقة معقولة : كما لا يوجد شيء إلا ويجب حسب إرادة الله أن نفهمه ونشأه بمقولنا .

فتبع ذلك أن الذين يجهلون الله يجهلون عمله أيضاً ، طالما لم يكن هناك كنز في متناول الغرباء . فاذا يسرون في الحياة بدون قيادة العقل ، لا يعرفون كيف يتفادون العاصفة المرتقبة فوق الدهر .

ما أغني ممارسة هؤلاء الناس للتوبة ؛ ويمكن لتبسيان ذلك هذا الأمر وحده ، فانهم يطبقون التوبة على أعمالهم الحسنة ، يندمون على أمانتهم وعلى محبتهم وعلى حسن نيتهم ، على صبرهم وشفقتهم عندما يسلكون في هذه الفضائل بسبب نكاحهم للجحيم .

فاذا كنت قد آمنت بما كان يجب على أن تؤمن به ، وكنت بعد ذلك أتصور أنه يجب على أن أبحث عن شيء آخر أيضاً ، إذن أكون في تقديرى انى واجد شيئاً آخر ، وما كان لي أن أطلع هكذا إن لم أكن في حقيقة الأمر انى مع مظاهر ذلك الإيمان ، لم أكن تؤمن قط ، أو انى توقفت عن الإيمان .

الأفضل أن نجعل من أن نعرف ما لا يجب معرفته ، مادامنا نعرف ما يجب معرفته . إيمانك خلاصك ، قال المسيح ، ولم يقل مهارتك في الكتب .

• • •

انهم يلتمون انفسهم لانهم صنعوا خيراً . اما الندم على اخطائهم .  
فانهم لا يمتنون به كثيراً .

لو كانوا كأنا ناس يعرفون الله يبدؤون بتقدير قائمة التوبة ،  
لكانوا يمتنعون عن الخطية إذ تمسكهم مخافة الرب . فإنه حيث  
لا توجد مخافة لا يكون إصلاح للروح ؛ وحيث لا يوجد إصلاح  
روحى تكون التوبة باطلة لانها لا تأتى بالثمر الذى جعلها الله  
من أجله ، أى خلاص الإنسان .

لان الله نفسه ، بعد كل تلك الاخطاء العظيمة التى اقترفها  
البشر منذ آدم ، وبعد أن حكم على الإنسان وطرده من الفردوس  
واخصمه للبوت ، عاد سريعاً إلى رحمة تعالى وخص في ذلك  
العقوبة في ذاته . فزق الصك وتمهد بالمغفرة لصنعة يديه صورته .  
جعل لنفسه شعباً أهدق عليه من خيراته الوفيرة ؛ وبالرغم من  
تكران الشعب للجميل مرات كثيرة ، كان يحث على التوبة فتكلم  
بضم الانبياء ، وواعد بالتممة التى بها يثير العالم بروحه القدوس  
في آخر الايام ، ورتب أن تأتى معمودية التوبة أولاً حتى تكون  
علامة سابقة لأولئك الذين تدعوم نعمته للواعد الذى وعد به  
جنس ابراهيم .

ويوحنا لا يفتنى ذلك حينما يقول : « توبوا لانه قد اقترب

ملكوت السموات ، مت ٣ : ٢ ، لان الرب كان مزمماً أن يأتى  
بالخلاص للأمم حسب الموعد . وكان يوحنا السابق يبين التوبة  
التي تطهر النفوس ، حتى تزيل التوبة كل أدناس الاخطاء القديمة  
وكل نجاسات القلب البشرى التى إنطبعت فيه بالجرم ، وتطرد  
خارجاً . وهكذا يعد هيكل القلب لسكى ينزل فيه الروح القدس  
ويستكنه بخيراته السارية . وكل هذه الخيرات تتلخص في واحد :  
خلاص الإنسان بعد محو الجرائم السابقة . هذا هو هدف  
التوبة ؛ انها التى تباشر مصالح الرحمة الإلهية ، لان ما ينفع الإنسان  
يخدم الله .

• • •

## قانون التوبة

وفضلا عن ذلك فإن قانون التوبة الذي تعلمه عندما تعرف  
الله ، له شكل محدد ؛ فلا يجب أن نعتف أنفسنا على ما فعلناه  
أو فكرنا فيه من الخير . ان الله لا يقر منع الاعمال الصالحة ،  
إذ أنها له . هو ضامننا وحافظنا ، فيلزم أن يرتضيها ، وإذا كان  
يرتضيها فهو يكافئ عليها .

لا يهم تكران الجليل عند البشر إذا كان يدفعنا إلى التوبة .  
لا يهم أيضاً المرفان بالجميل إذا كانت الرغبة في الحصول عليه  
تحفزنا لأن نكون فاعلين للخير .

ان ما نكسبه من شعور الشخص المعارف بالجميل لنكسب  
مثيل جداً ؛ وكذلك خسارتنا من شعور الشخص الناكر بالجميل  
أن هي إلا خسارة مثيلة جداً . فان الله هو الديان الذي يجازى  
ويكافئ .

وتوجد خطايا جسدية وخطايا روحية . فالإنسان الذي  
جبل من اتحاد هذين العنصرين لا يمكن أن يخطئ . خارج  
العنصرين اللذين يكونانه . وسواء أخطأ بالجسد أم أخطأ بالروح

خطيئته مشتركة ؛ كما أن الديان واحد ؛ فكذلك يجب أن يكون  
دواء التوبة واحداً .

وتسمى الخطايا روحية أو جسدية لأنه إنما تقترف الخطايا  
بالفعل أو بالفكر . فما يقترف بالفعل يكون جسدياً ، لأن  
الفعل كالجسد منظور ملموس . وما يتعاق بالفكر يكون روحياً  
لأن الفكر غير منظور غير ملموس . من ذلك يتبع بداهة أنه  
يجب أن تتجنب وأن تظهر بالتوبة ليس فقط الخطايا الفعلية ،  
بل أيضاً الخطايا الإرادية ، لأننا وإن كانت طبيعتنا المحدودة  
لا يمكننا أن نتحكم سوى الأفعال ، إذ لا نستطيع أن نتعداها  
إلى سر الإرادة ، إلا أنه لا يجب أن نهمل تلك الأخطاء فهي أمام  
الله أيضاً . فلا شيء يخفى على الله . أنه لا يجعل شيء ويحتفظ  
بالخطية ليوم الدينونة .

اليس الإرادة منبع الفعل ؟ لنفترض أن بعض الاعمال  
يمكن أن تعزى إلى الصدفة أو الضرورة أو الجهل ؛ فإذا سلمنا  
بهذه الاستثناءات ، فان الإرادة دائماً يكون منها الخطأ . فطالما  
كانت الإرادة منبع الفعل ، فهلا تكون هناك عقوبة وهي العامل  
الرئيسي في الخطية . انها لا تعني من العقوبة حتى وإن حالت عقبة  
ما دون إتمام الفعل . فهي تعتبر مسئولة أمام نفسها ، ولا يمكن

أن نلتصق في ذلك عذراً بسبب الأمور التي تمنع من المعنى بالفعل  
حتى المنتهى حتى نأبى بما كنا نتوى أن نأبىه .

إن الرب يدعو من ينظر ليشتهى زانياً وحقاً أنه من الخطر  
على النفس أن تتخيل العمل المحرم .

باطل أن تقول : أردت ولكنى لم أفعل . بل تهم بالفعل  
ما دمت تريده ، وإلا فلا تردّه إذا لم يصح أن تفعله . فإن كان  
ما تشتهى خيراً ، فأحرص على تحقيقه ، ولا تفعل الشر حتى النهاية ،  
ولا يجب أيضاً أن تشتهى . إنك مرتبط بخطيتك مهما كان  
إتجاهك : إما لأنك أردت الشر ، أو لم تكمل الخير .

وبالنسبة لكل الخطايا سواء أكانت جسدية أم روحية ،  
بالفعل أم بالشهوة ، فإن الذي قرر أن تكون المجازاة بالدينونة ،  
قد وعد أيضاً بالمغفرة عن طريق التوبة ، حينما قال لشعبه : « فاذا  
رجع الشرير عن جميع خطاياہ التي فعلها وحفظ كل فرائض وفعل  
حقاً وعدلاً لحياة يحيى . لا يموت » حز ١٨ : ٢١ .

وأيضاً : « حتى أنا يقول السيد الرب إنى لا أسر بموت الشرير  
بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيى » حز ٣٣ : ١١ .

إذن فإن التوبة حياة طالما هي مفضلة على الموت . إلتق

تفسك عليها أيها الخطاة الشبيه بي ، بل أقل ذنباً منى أيضاً ،  
لأنى أعترف بتفوقى فى الخطية : إحتضن التوبة مثلما يمسك الغريق  
بلوح خشب للنجاة . وسوف تستدك فوق أمواج التقصير التي  
كنت غارقاً فيها ، وتحملك إلى ميناء الرحمة الإلهية . إلتهم الفرصة ،  
حتى تصير أمام الرب بعد أن كنت فيما مضى لاشئ سوى نقطة  
حياة أو ذرة تراب أو كوعاء الخراف ، مثل الشجرة المغروسة  
على مجارى المياه ، دائمة الخضرة ، تحمل ثمارها فى حينها ولا ترى  
لا النار ولا العأس .

« هوذا الامم كنتقطه من دلو وكفبار الميزان تحسب . هوذا  
الجزائر يرفعها كدفنة ، أش ٤٠ : ١٥ .

« لذلك يكونون كسحاب الصبح وكالندى الماضى باكراً .  
كعصافه تخطف من اليبدر وكدخان من الكورة » هو ١٣ : ٣ .

« وتقول لهم . هكذا قال رب الجنود . هكذا أكبر هذا  
الشعب وهذه المدينة كما يكسر وعاء الفخارى بحيث لا يمكن جبره  
بعد وفى توفسة يدفنون حتى لا يكون موضع للدفن »  
أر ١٩ : ١١ .

« فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه . التي تعطى



نمرها في حينه . وورقها لا يذبل . وكل ما يصنمه ينجح .  
من ١ : ٣ .

• والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر . فكل شجرة  
لا تصنع نمرأ جيداً تقطع وتلقى في النار ، مت ٣ : ١٠ .  
تب عن أخطائك طالما وجدت الحق ؛ أندم لأنك أحببت  
ما لا يحببه الله ؛ ونحن أنفسنا لا نسمع لخدائنا إلا أن يكرهوا  
ما نكره .

ان تعداد فضائل التوبة يحتاج إلى مقال طويل . وسنقتصر  
على نقطة واحدة : أن ما يأمر الله به فهو خير ويصبح ممتازاً .  
وأرى أنه لا يصح مناقشة جمال الوصية الإلهية . ليس لأن الوصية  
حسنة يجب أن تتصت إليها ، بل لأن الله هو الذي أوصى بها .  
لماذا نفحص هل التوبة خير أم لا ؟ ان الله يأمر بها . وليس  
فقط يأمر بها بل يحثنا عليها . انه يدعونا برجاء المكافأة التي  
هي الخلاص . عندما يعلن بقسم : • حتى أنا ، فهو يريدنا  
أن نؤمن .

طوبى لنا ، يقسم الله من أجلنا . ولكن الويل لنا إذا كنا  
لا نؤمن بقسم الله . ان الوصية التي يوصى بها الله بمثل ذلك

الاهتمام ، ويوصى بها بقسم كما يفعل الناس ، تلك الوصية يجب  
أن نقبلها ونحفظها باحترام عميق ، حتى تبقى دائماً في يقين العمق  
الإلهية ، ونستطيع أن نشترك على الدوام أيضاً في مكافأتهما .  
لا يجب أن نلغى التوبة برجوعنا إلى الخطية ، تلك التي أنعم  
بها الله علينا . فلا يمكن بعد التوبة أن نعتذر بالجهل عندما نكون  
قد عرفنا الرب وأخذنا وصاياه ، وتبنا عن خطايانا ثم سقطنا .  
فهيكذا بقدر ما تحررت من الجهل تبقى مرتبطاً بالنرد . لأنك  
إن كنت ابتدأت في الندم على خطاياك وبدأت تخاف الله ، فلماذا  
تفضل أن تقطع ما فعلته وأنت تحت سلطان الخوف ، إلا إذا  
كنت لم تعد تخاف ؟ ان ما يهدم المخافة هو النرد وليس شيء آخر .  
فإن كان عدم معرفتنا للرب لا يعتبر عذراً يمنع عنا العقاب ،  
فكم يكون خطراً أن نحتقره بعدما عرفناه . وأما ذلك الذي  
بعد أن نال منه معرفة الخير والشر ، يرجع ثانية إلى الشيء الذي  
حرف أنه يجب عليه أن يهرب منه ، ولئى ما كان قد هرب منه ،  
فانه يهين عقله نفسه ، ويحتقره وهجسه الله : يهين المعطى بتركه  
المعطية ، وينكر الخير إذ لا يكرم وليه . كيف يرضى من أعطاه  
وهو لا يرضى بمعطيته ؟ انه يظهر أمام الرب ليس فقط كتمرد بل  
أيضاً كناكر للجميل .

وفضلاً عن ذلك فإنها الخطيئة عظيمة ضد الرب أن يعود  
الإنسان بعد أن يكون قد أنكر الشيطان عدو الله بتوبته ،  
وبعد أن يكون اخضعه الرب هكذا يعود فيقيمه مرة أخرى  
بسقطته في الشر ، ويجعل له في شخصه ذاته موضوع فرح ، حتى  
يفرح الروح الشرير ضد الرب إذ يكون قد إستعاد صيده .

ولكن يقول البعض يكفي لله أن نكرمه بالقلب والروح  
حتى ولو كان ذلك بطريقة مستقلة عن الاعمال، نحن نخطيء دون  
أن نفقد المخافة أو الإيمان . أو بمعنى آخر ، ندنس الزواج ولا  
نهبين الطهارة ، يسكب المرء السم لآبيه وهو يحافظ على الاخلاص  
البنسوي 1

هؤلاء الناس سوف يطرحون في جهنم دون أن تفقد المغفرة  
طالما كانوا يزعمون أنهم يخطئون دون أن يفقدوا المخافة .

كم نكون جهلاً . إن لم نكمل التوبة وفي نفس الوقت نستمر  
في رجاء مغفرة خطايانا ؛ ألسنا نقدم العملة ونمد أيضاً أيدينا إلى  
البضاعة ؟ ان الله جعل للدغفرة هذا الثمن ويعرض علينا أن  
نشتري عدم العقاب بأن نقدم التوبة . فإذا كان التجار يفحصون  
قطع العملة التي تمثل الثمن المنفق عليه أولاً ، ويتأكدون أنها غير  
ممسوحة أو مقرضة أو مزورة ، فانتنا نعتقد أن الرب سوف

يبدأ بالتحقق من نوع التوبة قبل أن يمنحنا المكافأة العظيمة التي  
هي الحياة الابدية .

ثم يتكلم القديس عن ضرورة التوبة الخالصة بالنسبة  
للهو ظنين الراغبين في نوال سر العهاد . ثم فيقول :

إذا كنا نتوقف عن الخطية بعد العهاد فقط ، فيكون ذلك  
عن ضرورة وليس برغبنا الحسرة . ولكن من يكون أكثر  
استحقاقاً للصلاح ، هل ذلك الذي لايسمح له بأن يكون شريكاً ،  
أم ذلك الذي لايريد أن يكون شريكاً ؟ الذي تأمره بأن يتمتع  
عن الجرائم ، أم الذي يجد في امتناعه هذا مسرته ؟ إذن لا يكفي  
أن نبعد أيدينا عن السرقة لأن الابواب المتينة تمنعنا ؛ ولا تمنع  
حيوتنا عن شهوة الفساد لأن حراس الاجساد التي نشتهيها يبعدوننا .

حاشا لله أن يفسر أحد كلماتي كأن الفرصة الممنوعة له للتوبة  
تمعليه تصريحاً بالخطية . حاشا لله أن تكون وفرة رحمته حافزاً  
على جسارة البشر . لا تسول لاحد نفسه أن يكون شريكاً  
بالأكثر لأن الله عظيم الرحمة .

في العادة نجد أن الذين نجوا من الفرق مرة ، يبتعدون عن  
السفن وعن البحر ويمجدون صنيع الله الذي خلصهم ، لانهم

يذكرون الخطر . انى أمدح خسوفهم وأحب تحفظهم . أنهم  
يبتعدون عن الخطر الذى تعلموا أن يخافوه .

إذا كانت رحمة الرب تعطيك الوسيلة انى بها تحصل ثابرة  
على ما فقدته ، فكن شكورا لهذه النعمة المتزايدة . لأن إعادة  
المعطية المفقودة أعظم من العطية . وبجزتنا أن نخسر أكثر من  
أن نكون لم نأخذ شيئاً بالمره .

انك ترضى الرب بالأترفض ما يقدمه لك . وإذا كنت  
تشك فى ذلك إقرأ ما يقوله الروح للكنائس : ( رؤى ص ٣: ٢ ) .  
أنه يلوم كنيسة أفسس لأنهم تركوا المحبة ، ويلوم كنيسة تياتيرا  
لأنهم زنوا وأكلوا لحم ما ذبح للأوثان ، ويلوم كنيسة سردس  
لأن أعمالهم ناقصة ، ويلوم كنيسة برغامس لأنهم يعلنون تعاليم  
خاطئة ، أنه يصف كنيسة لادوكية لأنهم يضعون ثقتهم فى العى .  
ومع ذلك فهو يدعهم جميعاً إلى التوبة بالرغم من تهديداته لهم .  
وبالطبع ما كان ليهدمهم إذا لم يتوبوا ، إن لم يكن يغفر لهم فى  
حالة التوبة .

لا أشك ، فقد برهن فى موضع آخر عن وفرة رحمته ، إذ  
يقول : « هل يسقطون ولا يقومون أو يرتد أحد ولا يرجع ،  
أر ٨ : ٤ . نعم أنه هو الذى يفضل الرحمة على الذبائح » : لأنى

أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات ، هو ٦ : ٦ .  
ان السماء والملائكة الذين يسكنون فيها يفرحون بتوبة  
الإنسان .

« فاذهبوا واملوا ما هو . انى أريد رحمة لا ذبيحة . لأنى  
لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة ، مت ٩ : ١٣ .

« أقول لكم أنه هكذا يكون فرح فى السماء بخاطى واحد  
يتوب أكثر من تسعة ونسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة ، لو ١٥ : ٧ .  
« هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطى .  
واحد يتوب ، لو ١٥ : ١٠ .

هيا أيها الخاطى ، تشجع فيها أنت تراهم يفرحون برجوعك .  
فقدت المرأة درهماً ، فأخذت تبحث عنه ووجدته ، فدعت  
صديقاتها ليقرحن معها : أليست هذه صورة الخاطى الذى  
يعود إلى النعمة ؟

تضيق نعجة صغيرة يمتلكها راع . وما كان كل القطيع أغلى  
عنده من هذه النعجة الواحدة . فيبحث عنها وحدها ، هى وحدها  
التي يريد كسكل الآخرين . فيجدها أخيراً ويحملها على كتفيه  
إذ أنها تعبت جداً فى جولانها هكذا .

## ممارسة التوبة في القرن الثاني

يقتضى قانون التوبة أن يجتر الإنسان ويتواضع ويخضع نفسه لنظام يجلب عليه الرحمة .

ففيما يختص بالملبس والمأكل ، كان يقتضى النظام لبس المسوح والرماد ، وأن يفسر بل الإنسان بثياب داكنة ، وأن ترك النفس للحرز ، وأن تصحح الأخطاء السابقة بتدريبات شديدة ؛ ومن جهة أخرى فإن الأكل والشرب يلزم أن يكون بسيطاً للغاية إذ يتطلب خبير الروح وليس لذة البطن .

ويقرن النائب صلواته بالأصوام ، ويصوم ويصلي ويتحجب نهراً وليلاً نحو الرب إلهه ، يرتضى عند الكهنة ، ويركع متوسلاً لدى الله ، ويكلف كل الإخوة أن يتشفعوا من أجله لكي ينال المغفرة . يفعل كل ذلك لتميز التوبة ، وليكرم الرب . فبقدر ما تنسحق نفسك ، بقدر ما يرحمك الله ، نأكد من ذلك .

ومع ذلك فاني افترض أن أغلبية الناس لا يقومون بهذا الواجب أو يؤجلونه من يوم إلى يوم ، لأنهم يخشون أن يظهروا علانية ، إذ أنهم يحسبون حساب الحجل أكثر مما يهتمون بخلصهم ، مثل هؤلاء الناس مثل الذين إذا اعترافهم مرض في

أريد أيضاً أن أذكر ذلك الأب الحنون الذي ينظر إسنه الضال ، وإذ يجده طارياً من كل شيء . ولكنه تائب ، يستقبله بفرح ويذبح العجل المسمن ويحتفل به فرحاً في ولية . ولم لا ؟ لقد وجد هذا الابن الذي كان قد فقدته وأحس أنه عزيز لديه بالأكثر عندما وجده من جديد ( أنظر لو ١٥ : ٤ - ٢٢ ) .

ماذا يجب أن نفهمه من المثل ؟ بديهي أنه الله . لا أب مثله ، وليس أحد حنوناً مثله . أنت إنه : حتى وإن حدث أنك بددت ما أخذته منه ، حتى عدت عرياناً ، فإنه يقبلك طالما كنت عائداً ، ويفرح بعد ذلك كثيراً أكثر مما يفرح بحكمة إنه الآخر ؛ ولكن بشرط أن تتوب من كل قلبك ، وأن تقارن جوعك بالفورة التي يتمتع بها خدم أبيك ، وأن تترك قطع الخنازير الدنس ، وتذهب لمقابلة أبيك مهتماً كان غاضباً وتقول له : يا أباي أخطأت إلى السماء . وقد املك ولست مستحقاً بعد أن ادعى لك إبناء لو ١٥ : ٢١ .

إن الاعتراف بالخطايا يخفف كما أن إخفاءها يثقل . لأن الاعتراف علامة الرضا ، والإخفاء علامة التمرد .

الأعضاء السرية ، يخفون حالتهم على الأطباء ، ويموتون هكذا  
بجياثهم . وليس من شك أن الله لا يرتضى الحجل .

لكي قل لي أيها المستحي ، أما كنت تحفظ جيبك عالياً وأنت  
تخطئ ؟ فانت تخفض جيبك الآن لكي يرفع الله غضبه عنك .

انك تعيش وسط إخوة يخدمون نفس السيد ، وكل شيء  
لديهم مشترك ، الرجاء ، الخافة ، الفرح ، الحزن ، الألم ، إذ ليس  
لهم سوى روح واحدة من عند الرب ، فلماذا تفكر أنهم يختلفون  
عندك ؟ لماذا تهرب من الذين يشتركون معك في الزلل كما لو  
كانوا يفرحون بزلك ؟ ان الجسد لا يمكنه أن يفرح بالسوء  
الذي يصيب أحد أعضائه ويلزم ضرورة أن يحزن كل الجسد  
ويعمل على شفاء المضر . حيثما يكون المؤمنون تكون الكنيسة  
والكنيسة هي المسيح . إذا لحيننا تمد يدك نحو اخوتك ، فانك  
تلس المسيح ، انك تتضرع إلى المسيح . وعندما يذرف الاخوة  
الدموع عليك فالمسيح هو الذي يتألم وهو الذي يطلب من الآب .

أستطيع أن تخفي عن الله ما تخفيه عن معرفة الناس ؟ هل  
يمكن مقارنة رأى الناس مع حكم الله ؟ هل الأفضل أن يحكم  
علينا في السر أم أن يغفر لنا علانية ؟

بالإضافة إلى الحجل الذي يشغل بالهم بالأكثر ، فانهم  
يشعشون أيضاً أمتساب الجسد ، إذا لم أن يعيشوا دون أن  
يستحموا ، محرومين من كل فرح ، في خشونة المسوح والرماد ،  
وجوههم متغيرة من الصوم .

هل أضرع إلى الله من أجل مغفرة خطايانا ونحس في ملابس  
سحراء من برفير ؟ إذا كان ذلك الأمر مجدياً ، فما هو دبور  
لتصنيف شعورك ، وما هي بودة لتنظيف أسنانك ، وما هي  
عقصات من الحديد أو المعدن لترتيب أظافرهم . أسرعوا بوضع  
الأحر على خدودكم وشفاهم . ابشوا عن الحمامات الذبذبة ،  
زيدوا مصروفاتكم في المصايف ، في الحدائق أو على شاطئ البحر ،  
ابشوا عن السمعة الزائدة التي تأتي من الأظعمة الفاخرة ، اشربوا  
الابيزة القديمة . وأن سألكم أحد لماذا تنعمون هكذا فردوا  
عليه : « لقد أخطأنا ضد الله ، وانا مهددون بالهلاك الأبدي .  
ولذلك نحن في هذه الساعة في قلق عسى أن نكون مقبولين لدى  
الله الذي أمناه بخطايانا ، » .

انظروا إلى الذين يسعون لكي يصلوا إلى مراكز المستشارين .  
أنهم لا يشعرون بخجل أو كلل ويتحملون الأتعاب المادية  
والمعنوية بل الإهانات أيضاً لكي يصلوا إلى أهدافهم .

أما نحن عندما نكون أبدقنا في خطر فإننا نتردد في احتمال ما يحتمله البعض من أجل منفعة مادية بسيطة . اتنا تتأخر عن تقديم الصوم لله ، بينما يصوم الوثنيون دون أن يفرض عليهم أحد ذلك .

يقول الكتاب : وويل للجاذبين الإثم بحبال البطل والخطية كأنه يربط المجلة ، أش ٥ : ١٨ .

فتمثلوا أمامكم جسامه العقاب أولا حتى لا تترددوا في استعمال الدواء . لماذا تتأخر في الالتجاء إلى الدواء الذي تعرفه أنه يجلب لك الشفاء ؟

† † †

---

أودع بدار الكتب تحت رقم ١٦٦ لسنة ١٩٧١